"لأجل غزة .. الفن فعل ثوري يحفز "الأمل

"لأجل غزة .. الفن فعل ثوري يحفز "الأمل

عزيزة علي

أكد مسرحيون وشعراء وموسيقيون ومغنون أهمية أن يواكب الفعل الفني فعل المقاومة في الرصد والتوثيق واستخلاص الدلالات، مبينين أن الفنون لطالما كانت مرافقة للحركات النضالية ضد الاستعمار والاضطهاد السياسي والاجتماعي.

اضافة اعلان

الكاتب والمخرج الدكتور مخلد الزيودي، قال إن المسرح أداة من أدوات النضال ضد الغازي والمُحتلّ، لافتا إلى أن المسرح الأردني منذ بداياته قدم فعل مقاومة المحتل وكانت مسرحية (الأسير) تأليف محمد المحيسن عام (1933) لتحكي قصة كفاح بطل الثورة المغربي (عبد الكريم الخطابي) ومقاومته للاحتلال الإسباني في الثلاثينات من هذا القرن، هذه المسرحية "تُمجّد النضال العربي في مقاومة المستعمر الأوروبي في المغرب العربي، كما قدم النادي العربي في اربد مسرحية (سهرات العرب) من تأليف عثمان قاسم وموضوع المسرحية يقوم "على الصراع السياسي بين أحرار العرب المناهضين للاستعمار الفرنسي والمطالبين باستقلال سوريا.

واستعرض الزيودي العديد من المسرحيات التي قدمة وتتحدث عن مقاومة المحتل ففي عام 2009م، مبينا أنه قدم كمخرج مسرحية "سفر مؤاب" كتبتها سهير سلطي التل واعدها نصر الزعبي والذي قام بتأليف وتلحين وغناء عدد من قصائد حبيب الزيودي وتيسير السبول بمشاركة الفنانة سهير عوده والفنانين محمد الابراهيمي، طارق التميمي وبندر السواعي ومصاحبة الكورال. المسرحية تناولت الحرب التي خاضها الملك "ميشع المؤابي" لتحرير مملكة مؤاب من يد المحتل اليهودي.

فيما أشار الشاعر د. حكمت النوايسة إلى أن واجب الأديب التفاعل مع الحدث، وإبداء رأيه على الأقل، وثمة فروق بين الأدباء في هذا، فمنهم من ينتج نصّه المعبّر عن الحدث في وقته، ومنهم من لا يستطيع ذلك، وإنما قد يحتاج الأمر منهم ربما سنين... ولكنّ الجميع معنيّ بالتوثيق، والتوثيق الفني والأدبي مهمّ، ولكنّ أدق التوثيق برأيي هو الذي يأتي بالتوثيق التاريخي، والكتابة المباشرة التقريرية أولا، ونشر هذا التوثيق ما استطاع الكاتب إلى ذلك سبيلا، وأما التعبير الفني، فإنه كما قلت، يأتي، وسيأتي بصورة متنوعة شتّى، فمنه ما يأتي مباشرة، ومنه ما يأتي بصور رمزية، ومن ما يأتي بصور جماليّة ترصد المأساة بدعمها بالخيال الذي يملأ الفراغات فيها.

وأوضح النوايسة أننا نرى الآن الأصوات التي تأتينا من كل أصقاع العالم تشيد بالمقاومة، وتندّد بالإجرام الصهيوني، وهي ليست عربية ولا فلسطينية ولا مسلمة، وهذا مناط الجزء الأول من الإجابة، وقد سمعتها من كثيرين أثناء متابعتي للإعلام العالمي وتعامله مع العدوان الصهيوني على غزة، والتناقض الحاد بين الإعلام المسيطر عليه من قبل إسرائيل، والإعلام الحر، والتطور الهائل الذي حصل من خلال الإعلام الرّديف، أو البديل، وسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة، ولا تستطيع الآن أيّ دولة أو مؤسسة إعلامية أن تفرض رأيها على العالم، وكلنا شهدنا السرعة الفائقة التي انكشفت فيها كذبة (قطع رؤوس الأطفال).

وقال النوايسة لقد رأينا ك من الأعمال الفنية العظيمة التي جاءت بعد النكبة الأولى في العام 1948، رأينا أعمال وليد سيف الكبرى، ورأينا روايات كثيرة وثّقت المأساة الفلسطينية/ العربية، ورأينا شعرًا كثيرا، ورأينا أعمال تلفزيونية من مسلسلات وأفلام قصيرة وطويلة، وأغاني... وقد جاء أغلبها بعد الحدث بكثير، ولكن الكاتب كان معايشا للحدث يوثّقه كما يحدث معنا اليوم، ما مكان القصيدة في وسط المجزرة الكبرى التي ترتكبها إسرائيل؟؟؟؟ المتلقي يحتاج إلى مقاومة الدم بدم، والرصاص برصاص، ودور الشاعر/ الكاتب هو تحريض صاحب القرار، وصاحب البندقية على الوقوف بجانب المظلوم، والوقوف في وجه الظالم.

فيما قال الملحن والمغني محمد القيسي إن "كل حدث كان يحدث في فلسطين المحتله. كنت اقوم بالتوثق له بعمل فني فان اكتب تاريخنا ونضالنا وتظل الاجيال على معرفة تامة بتاريخ هذا الشعب المناضل"، واثناء اطلق "طوفان الاقصي"، قمت بغناء "هي الرد بيرعد رعد/يشل العادي وأركانه/يهد عروش الظالم هد/يزلزل حقده وطغيانه/دق ندق الغاصب دق/ومين قال بإنا نهابه/ أمنه بحق.. نشقه شق/تيندم على عداونه"، وهي موجوده على صفحتي ولقت مشاهدة عالية جدا.

واضاف القيسي "عندما تنعدم القدرة على دعم الانسانية البريئة، وعندما تسجن النفوس بما تستطيع البوح بما تجول في خاطرها وتمنع من الدفاع عن أرضها وشرفها،عندها تصبح الكلمة هي اقل ما يمكن فعله لإيصال رسالتك بالدعم لمن لا حول لهم ولا قوة، مؤكدا على أن رسالة الفن الهادف هي أن نقاوم ولو بكلمة ولحن وصوت صادق ينبع من الاعماق تجاه قضيتنا الفلسطينيه التي تعد اهم قضية على مر التاريخ العربي".

وقال القيسي منذ أن احترفت الغناء وانا اكتب والحن واغني لهذه القضيه منذ ان احترفت الغناء، ومن قبل هذه الاحداث التي تمر بها كانت رسالتي الفنية تركز على هذه القضية لايصالها لكل العالم لابراز هذه المعاناة التي يعانيها الشعب الفلسطيني تحت نير الاحتلال وسطوته، فهذه الاعمال الفنيه لطالما غرست في الاجيال حب الوطن وحب الانتماء لوطن احتله اليهود الصهاينه منذ اكثر من ثمانين عاما تقريبا وما زال يعاني لحد هذه اللحظه.

وخلص القيسي إلى أن هذه الاعمال الفنيه هي أقل شي نستطيع ان نقاوم به هذا الاحتلال الجائر حتى يعرف عالمنا ما هي قضيتنا التي لطالما تكالبت عليها الامم، وسأظل أقاوم بالكلمة الصادقة وبصوتي الذي يمثل قضيتي من الاعماق حتى تصل كلمتنا للعالم اجمع، حتى تعود الأرض لمالكها الحقيقي ألا وهو الشعب الفلسطيني المجاهد العظيم.

فيما رأى الشاعر علي الفاعوري أن الشعر لم يكن في أي زمن ترفاً بقدر ما هو ضرورة، فكل شيء يستمد قيمته من وظيفته، وفي هذا الظّرفِ الذي تواجه فيه المقاومة الفلسطينية الباسلة آلة الدمار والغطرسة الصهيونية، يأتي الجزء الأهم من رسالة الشاعر العربي وهو تعميق وتجذير "الإنتماء المقاومي" في ذات المواطن الفلسطيني والعربي والوصول به الى حالة الاحساس الدائم بـ"وجودية" المقاومة على الأرض، ومن هنا كانت الكلمات المشهورة عن "موشيه ديان"، بعد حرب 1967" وهو يعلن بكل وضوح أن قصيدة يكتبها "شاعر مقاوم" تعادل عنده عشرين "فدائيا".

واشار الفاعوري إلى أن الفعل الشعري هو عملية اتصالية تفاعلية مركبة، يمثل فيها عنصر الرسالة مكوناً رئيساً لما تتضمنه هذه الرسالة من أفكار وطروحات وقيم، ونظرة للعالم والإنسان، تُحدد جميعها وظيفة الشاعر أو منتج القصيدة، مشيرا إلى أن منظومة تجارية للصناعة الفنية تملي اشتراطات تخص زمن الأغنية ولغتها وإيقاعها، يضيق المجال بالقصيدة التي تتميز ببنيانها الخاص وغنائيتها الكلاسيكية، وهي التي كانت تحوز نصيبا وافرا في حركية الإنتاج الغنائي في القرن الماضي وحتى العقود الأخيرة منه.

فيما رأى المخرج حكيم حرب أن ما يحدث اليوم في غزة تعجز أمامه الكلمات وتتعطل الرؤى الفنية والإخراجية وتصمت أدوات التعبير الإبداعية التي تحاول تناوله ومعالجته دراماً -وذلك نظراً لما يحتويه من تفاصيل دامية وتضحيات جسام وبطولات تفوق الخيال- إلا أنه علينا أن نعترف بأن الملحمة الفسطينية التي بدأت فصولها منذ "75"، عام ولا زالت رحاها

تدور اليوم على أرض غزة، ويحتاج مبدع لخيال شاهق ليتمكن من الارتقاء لمستوى عظمتها بهدف التعبير عنها فنياً ودرامياً دون الوقوع في مطب العزف على الأوتار العاطفية واستدار دموع الجمهور.

واضاف حرب: مهمة المسرح ليست التمجيد بل إثارة عقل المتلقي حتى يتمكن من فهم الحقيقة بمعناها المجرد، فالمسرح كما يقال هو إيقاظ للعقل وليس مخدراً له، كما أنه ليس وسيلة للتنفيس عن الغضب المحتبس داخل الصدور، بل هو يدفعنا لمزيد من الغضب والقلق ويؤرق تفكيرنا ويقض مضاجعنا، فهو تاريخياً ومنذ نشأته الأولى يمثل ميدان إثارة في صراع الإنسان مع حقيقته وفي محاولته المستمرة لكشف القناع عن وجه الحياة .

وقال إن مهمة المسرح اليوم وفي الوقت الذي تباد فيه الإنسانية في غزة وتدمر الأخلاق والمبادئ، هي أن يكشف زيف الحضارة الغربية الداعمة والمؤيدة لهذه الإبادة الجماعية لشعب أعزل، ويسلط الضوء على همجيتها ووحشيتها، ويفضح تواطؤ ذوي القربى وجبن الكثير من الساسة والمثقفين الذين يقفون اليوم على الحياد، وذلك لا يكون بالتنظير والفذلكة والإبهار بل بطرح موضوعات جريئة وإثارة أسئلة يعتبرها الكثيرون غير مشر وعة، بهدف مواجهة ضعفنا والاعتراف بتخاذلنا دون تابوهات ودون خطوط حمراء، فمسرح لا يتمتع بمساحة كبيرة ولا محدودة من حرية التعبير هو مسرح ميت لا فائدة ترجى منه، وأمة منكسرة ومهزومة وخائفة لا يمكن أن تنتج مسرحاً حقيقياً، ومسرحيون يلهثون وراء الشهرة والنجومية والتهريج لا يعول عليهم، فالمسرح أساساً هو فعل ثوري يناقش صراعات أفقية وعمودية جريئة بمعناها الوجودي والأيدولوجي دون مساومة أو مهادنة .

وخلص حرب إلى أن مهمة المسرح هي خلق الأمل لدى الجمهور العربي بناءً على فكرة "أننا محكومون بالأمل وأن ما يحدث اليوم لا يمكن أن يكون نهاية التاريخ"، ليجعل الجمهور يغادر مربع اليأس والأحباط لا أن يزيده يأساً وإحباطاً، وهذا النوع من المسرح الذي عملت عليه ولا زلت أعمل عليه في الفضاءات المفتوحة خارج المسارح المغلقة، هو المسرح المطلوب والذي يتناول القضايا المصيرية للإنسان العربي دون مواربة ودون فذلكات وبنفس الوقت يكون ضمن شروط فنية وإبداعية حتى لا نقع في مطب الابتذال والنمطية والتكرار، وعلى قاعدة "أن ليس بالضرورة أن تكون الأشياء العميقة معقدة ولا أن تكون الأشياء البسيطة سطحية" فالمسرح المطلوب اليوم هو مسرح يقول الأشياء العميقة ببساطة.

فيما قال الكاتب المسرحي مفلح العدوان "المسرح في اللحظات المفصلية الفارقة، عندما تكون خيارات الشعوب بين المقاومة أو الاستسلام، تصبح مهمة المسرح، والكتابة المسرحية، أن تكسر جدران الصالة يعرض فيها، لتصبح خشبته قريبة من الشارع والمجتمع والحدث، تندمج هناك في صحوة واعية أبعد من كراسي المسرح المحدودة إلى أفق أبعد، فيه استشراف، وشحن للهمم، وتعبيرات تعكس حق القضية، ومعاناة الإنسانية، في هذه الفترات الفارقة، لا حياد في المسرح، كل حياد هو خيانة، وتضليل، المسرح تعبير عن الأمل والحق والصمود في وجه الظلم والدم وقتل الأبرياء.. المسرح ابن الحياة، نعم، لكنه أيضا المعبر عن الأسباب التي لا بد من تعزيزها لحفظ كرامة الأحياء، وحقهم في العيش، وفي أوطانهم التي يحاول الأعداء اغتصابها ونهبها ومحوها، وتهجير أهلها منها".

واضاف العدوان إن مهمة المسرح هي التعبير عن القضايا الوطنية والقومية والإنسانية بشكل قريب من نبض الشارع والمجتمع، لأنه فن حي ومباشر وفيه صدقية عالية، وأكثر ما يكون حضور المسرح في الأزمات، وعند القضايا الكبرى،

ولذا فإن الكاتب المسرحي الحقيقي، والمبدع القريب من مجتمعه وقضايا شعبه، لا بد وأن يعكس من خلال كتاباته المسرحية تفاصيل الواقع المعيش هذا، بما فيه من ألم وأمل، وهذه المفاصل الكبرى ملهمة لكتاب المسرح، ليوثقوا الحالة، ويعرّوا الظلم، ويعكسون حالة التعدي على الإنسانية التي يمارسها العدو الصهيوني بظلمه وبقصفه الوحشي لغزة ومصادرته حق الفلسطيني في العيش، وقصفه بكل أسلحة العالم ليجبره على الهجرة من وطنه.

وخلص العدوان إلى أن هذا الواقع الذي يتابعه الكاتب المسرحي عبر قنوات التلفزة ووسائط السوشال ميديا، لا بد وأن يترجمها كتابات مسرحية، وهذا جزء من إسناد المقاومة الحقيقية، فدائما الإبداع في صف أهل الحق، والإنسان، والمعركة العادلة، ولنا أن نعود إلى سعد الله ونّوس حينما أبدع في كتابة مسرحية "حفلة سمر من أجل 5 حزيران"، كتبت بعد حرب حزيران 1967م، وكانت ذكية في طرحها، وفي تعرية واقع الحال، وفي خطابها الذي يحمل في جانب منه دعوة للتغيير.

فيما قالت الروائية والكاتبة هيا صالح إن المسرح في جوهرة هو فعل مقاومة وقد قدمت العديد من المسرحيات وبخاصة في الفترة الاخيرة حول موضوع المقاومة بما يمثل نقدا عميقا لجميع اشكال العنف والقهر والظلم والتسلط وبخاصة في ما يتعلق بالقضية المركزية وهي قضية الاحتلال الصهيوني لفلسطين منذ ما يقارب القرن او ما شهدته الساحة العربية من احداث ماساوية بعد ما سمي بالربيع العربي.

ورأت صالح أن مرونة المسرح تمكنه سواء كان على مسرح كبير او في غرفة صغيرة او على سطح بناية او في الشارع.. جعلته منه اكثر التصاقا بالمتلقي وتعبيرا عن همومه وواقعه وبالتالي اكثر تاثيرا به واهم فعل يرتقي بوعي الانسان ككيان حر لا بد ان يتمتع بالحرؤة والعدالة والسلام، مبينة أن المسحر حمل وما يزال الهم الانساني وعبر عن اشكال من الصراع التي يخوضها الانسان مع كل مستويات السلطة التي تسلبه انسانيته وتكبل حريته محرضا على فعل المقاومة والتمرد والرفض.

المخرج المسرحي زيد خليل قال إن المسرحي يبحث دائما في القضايا الانسانية المصيرية والقضايا الوطنية ويعمل من خلال منجزه على تأجيج وعي الجماهير من اجل ان يحقق وعي جمعي، ويرتقي بهذه الذائقة الجمعية ليخلق بالمقابل حالة من حالات التغير في مجتمعاته، فالتاريخ عندما يقول إن اطول احتلال في التاريخ المعاصر هو الاحتلال الصهيوني لفلسطين، فليس لنا ان نقول أن قضية فلسطيني هي فعلا القضية المركزية التي يجب ان تشغل كل المثقفين العرب والمسرحيين على وجه الخصوص، فعلينا كمسرحيين ان نوجه بوصلتنا في منجزنا ومشروعنا المسرحي نحو القضية الفلسطينية، ونقدمه في عروض مسرحية توثق هذه الحالة البطولية ونأرشفها ولنستفيد منها ونقرأ من خلالها المشهد القريب، ويقدم نبوأته للنصروتحرير فلسطين، ويعد انتاج هذه النبوأ ويقدمها في عمل مسرحي للجمهور، مما يخلق حالة من تحشيد الجماهيري باتجاه هذه القضية وبذلك يكون قد مارسه دوره في سياق موازي للمقاومة.